

نوم . ولما كنت أتولف مقالتي في حساب التفاضل وهو أصعب تألّفي الرياضية كنت اتسخط في اليوم نحو ٢٥ كراماً من السعوط فخطت حينئذٍ اني صرت اقلب قوامي كثيراً للتفتيش عن معاني انكلمات العربية الامر الذي لم أكن افعله قبلاً . ونسبتُ ايضاً تاريخ حوادث كثيرة فساءني ذلك جداً حتى انني عرمت على ابطال التدخين والتسعط فنقطتها في غرة ايلول من شهر سنة ١٨٦٣ ومن ثم حتى هذا اليوم (٢٥ حزيران سنة ١٨٨٢) لم اتسخط بقصة سعوط ولم ادخن شيئاً من التبغ وكأني نُبِئتُ من الاموات في ذاكرتي وفي صحفتي ولم يبقَ عليّ سوى ان افعل ما فعلته بعد ذلك بثماني عشرة سنة وهو ان اجعل طعامي نصف ما كان واقبل من اكل اللحم واكثر من الخضضر لكي اتمتع بصحة لا مثيل لها وطاقة على العمل لا تحب وهضم تام . وعندني ان كل من تبع خطواتي يكون جزاؤه كجزائي مجاوز الثمانين سالماً بعد ان يعمل اشق الاعمال

وقال العلامة بروكتر ما محصلة ان اكبر معين لرجال العلم تحميم المنهات كالعرق والتبغ فاني وجدتُ من نفسي ان كاساً من العرق يتعني عن الاشتغال مثل الاكل الكثير هذا اذا كنت في بيتي . واما في الولايم الكمية فلا اشعر بتعب من الاكل الكثير ولا من شرب قليل من المنهات بل ارى المخمرتة الجمان وتفرج القلب ولكن المقدار الذي يفيد ولا يضر قليل جداً ولما يقف عنده الانسان فالامتناع المطلق خير واولى

منطق الوعظ (والخطابة)

لجناب النفس الدكتور منزي حسب (١)

قال شيشرون "حسن المنطق يتوقف على كل القوى الظاهرة والباطنة" ولقد اجاد بذلك لان الفصاحة تنوم باظهار كل قوى الانسان العقلية والجسدية والخطاب الحسن يحتاج الى اجتماع العقل والجسد معاً فقد يكون الخطاب فصيحاً نظراً للفظ والمعنى ولا تأثير له لتبجح المنطق ؛ قبل ان هال التواعظ الانكليزي لم يقتصر على تقديم كلامه للسامعين بل قدم لهم نفسه ايضاً اي انه اوضح مراده بصوته وعينيه ويديه وهيئة وقوفه وكل حركة من حركات جسده

- ويتضمن المنطق الحسن اربعة امور وهي الصوت واللفظ والاجوار والحركة

للذلة الاولى . في الصوت

الصوت قوام الوعظ والخطاب وركنهما الاعظم ويتوقف حسن المنطق على كاله وترتيبه وتوقيته . فالاصوات غير القابلة الثنوية والتحسين قليلة وما كان من الاصوات قبيحاً ضعيفاً طبعاً

(١) وهي مأخوذة من كتاب له طبع حديثاً واسمه كتاب جلاء الخط في علم الوعظ . انظر باب الهدايا والتعاريف

قد يحسن بالممارسة فانها تقوي الصوت الضعيف وتحمي الفم وتقوم المعوج وتريد الحسن تأثيراً
 وفعلاً. ولتعلم الواعظ حفظ صوته من الفساد من الموسيقين فانهم ينظرون كثيراً في خواص
 الآتهم ويعنون بحفظها من كل ما يضرها كالرطوبة والكسر والفساد وما اشبه ذلك لتكون دائماً
 معدة لاخراج الاصوات المطربة. فان كان ذلك شأن المغنين فهو اجدر بالخطيب ولا سيما
 الخطيب الروحي فعليه ان يعتني بكل الاعناء تلك الآلة العجيبة التركيب التي يخرج منها ذلك
 الصوت الذي وهب الله له آلة لاظهار الحق الالهي للعالم

ولتقوية الصوت وتحسينه شروط لا بد منها. منها ان يراعي الواعظ صحته ويعتني بها لان
 قوة الصوت وصفاة يتوقفان على الصحة الجسدية. فان الانسان الضعيف يعرف من صوته
 الضعيف الخشن غير الصافي لانه يضعف الصحة الجسدية تضعف اعضاء الجسد كلها وعضلاته
 فتضعف عضلات الصوت واوراره ايضاً. وان الصوت يتكون بطرد الهواء بعض من الرئتين
 ما ز في المزمار فيحدث اختلاجاً في الاوتار الصوتية فتخرج الصوت فيتنوع بواسطة اللسان
 والاسنان والشفين

ومنها ان يعود صوته التغيير والتنوع وذلك من المكثات القريبة ودليلاً ما نراه من اصوات
 الملاحين والحدادين والمكاريين. اما قوة الصوت فبالنسبة الى جرم الخنجرة وسعة الصدر. والترنيم
 والقراءة بصوت مرتفع ما يحسن الاعضاء الصوتية ويمد الصدر مدام يفيد الصحة. قال الاطباء
 لنظير الاصوات الاصلية العربية يعين على نمو الاعضاء الصوتية ويمنع المرض من الخلق والرئتين
 ومنها ان يلازم الوقوف والجلوس المنتهين ليكون صوته واضحاً مفسراً لان هيئة الوقوف
 تؤثر في الحان الصوت لانه اذا وقف الخطيب او جلس وراة وجده متصبان تزيد حركات
 كل الجهاز التنسي اختياراً وقاطبة ولذلك يكون الصوت اوضح واظهر ولكن ان تكلم والراس
 منكوس والذقن منخفضة منع حركات الاعضاء الصوتية وتعب في وقت قصير

ومنها ان يجتهد من ضغط عضلات العنق قال علماء الفسيولوجيا يجب ان تتوفى ضغط
 عضلات العنق لانه اذا ضغطت عضلات الحنجرة والخنجرة بقية عريضة عالية او بلس آخر ضيق
 اشنع استعمال تلك الاجزاء بسهولة وصارت الالحان ضعيفة لا تأثير لها فزيادة ضعف الصوت
 عند الخطباء اكثر ما نسب الى الخطا في تغطية العنق وعدم الانتصاب في الوقوف

ومها ان يجنب تأثير الهواء البارد بزيادة اللبوس بعد ان يفرغ من الوعظ او الترنيمة امام
 جمع في مكان كثر حره وان لا يفتح فاه اذا خرج في ليلة مطر او ريح شديد ويرجع الى بيته من دون
 ان يتكلم كلمة واحدة في الطريق لتلا تأثر اعضاء الصوت بالبرد والرطوبة

ومنها ان يتنفس تنفساً كاملاً ويجهد ان يبلأ رثته هواءً ولذلك ينبغي ان يقف متصباً . وليعلم ان القراءة في ورقة على منبر غير رفيع تمنع من التنفس الكامل وتضيق الصدر وتنعته من ان يرتفع . اما النغم واجزاء الحلق العليا فتظير قبة تريد قوة الصوت نكاته بهما مبني على عمود هواء متصل من قبة النغم الى الرئتين . واتضح مهبّات الصوت ان يخرج من الانف

ومنها ان يحافظ على الصوت الطبيعي ليكنه ان يتكلم بقوة بلا تكلف ويتنوع الاصوات من الرزّ الى الصياح (اي من الصوت الخفي الى الصوت الشديد) ولذلك ينبغي ان لا يتقوى الصوت اكثر مما يقتضي اسماع الحاضرين فعلى الواعظ ان يتكلم كعلم بصوت طبيعي بقصد ان يبلغ كلامه السامعين حتى يعرفه كل من اصحابه من صوته دون ان ينظر اليه

ومنها ان يحافظ على صفاء الصوت لان صفاءه اليتى بالخطيب من شدته فالصوت الحسن هو الذي يخرج بسهولة ويبلغ آذان السامعين واضحاً وصالواً يؤدى الى ذلك اكثر من القوة . لان الصوت انواع منها ما يسمع بواسطة حسن الحائنه لا بثوته فقط وهو الصوت الراقى الموافق ارادة الخطيب القابل التدرج الى كل الاصوات الموسيقية . اما الاصوات المنخفضة الغليظة والرفيعة الشديدة فيجب تجنبها فان خير الامور الوسط فينبغي ان تمارس الاصوات المتوسطة حتى يمكن الواعظ ان يرفع صوته بشدة اذا شاء وبخفظة بالحلم والوقار كذلك

ومنها ان يقرأ ما يجاراه من الكتاب المقدس على المنبر بصوت ثابت متوسط ويجتنب الصوت الملل ملاحظاً المعنى يحافظاً على الصوت الطبيعي متوتراً اياه حسب مقتضى الكلام لان قراءة الاخبار التاريخية تنتضي صوتاً وقراءة اشعار ايوب تنتضي صوتاً آخر وقراءة مخاطبات المسيح لتلاميذه تنتضي آخر وكذلك بعض فصول سفر الرؤيا المتعلقة بتسبيحات السماء . والقراءة امر ذو شان في خدمة الانجيل لان الفارسي الهيد بشرح معنى الكلام الالهى بمجرد تنوع الاصوات الطبيعية في القراءة ولذلك سمى بعضهم القراءة شرحاً متصلاً .

ومنها ان يبذل كل جهده في تحسين صوته وتقويته فان الاصوات قابلة ذلك وليس لها نظير في الحسن والقوة والغنى والسعة . والخطيب الماهر يستعملها ليؤثر في اعناق الضمائر الميتة ويظرب الاذهان بمنظر السعادة والسلامة السموية ويمس بلطف محركات القلوب الخفية ويذوّب قلوب الخطاة حتى يشعروا ويكفوا مثل الاولاد على اعمالهم الشريرة

النبذة الثانية . في اللفظ

المقصود باللفظ هنا اظهار كل حرف ومقطع وكلمة وجملة اظهاراً كاملاً لمنع الالتباس عند السامعين . فالخفاصل في لفظ اللغة العربية يقع في كثير من الخطأ الذم كالمخطأ الشائع في لفظ

حرف التاء كالسين فيتمس به الاتم بالاسم والتلب بالنسب والتم بالنسب وهم جزاء والنفس قابل التهذيب والابضاح فلا يعدر الانسان على الخطا فيه واذا عدرنا الجاهل عليه لم نعدر خادم كمة الله على تفعده عن الاجتهاد في جعل كلامه مفهوماً لان الكسل في امر ذي بال نظير هذا خطبة

البند الثالثة . في الاجهار

الاجهار في التكلم حسن ولا يقوم بمجرد الاظهار ورفع الصوت بل لا بد له من التنوع الكثير في الالمان والاصوات . طرأ البعض انه يجب على الواعظ ان ينطق بالالفاظ الخفية المعنى بصوت خفيف وبصراخ هائل والحق ان الصوت يؤثر اقوى تاثيرا اذا اُثرت فيه تلك الافكار الخفية تاثيراً يلجئ الى ان يخفض الصوت

قال قتادة بن عوف الاميركي . "التبوة الحكيمة لا بد منها في القراءة والتكلم الحسن المفيد لان كل كلمة تقع عليها التبوة تصير مصدراً للنجاة والحركة في اللفظ واما النطق الضعيف فبيمت افكار المتكلم" . والاجهار يكون في الكلمة والجملة والكلام واما التبوة فتكون في الكلمة ومقاطعها . ومن يحكم الاجهار يقدران يجعل الوعظ الدرهماني الثقل خفيفاً حسناً لذيقاً فكما ان المصور بعد اتمام الصورة يوزع عليها نقط نور لتحسين المنظر كذلك الواعظ يحسن الكلام بالاجهار الحسن والتبوة المناسبة . قال العلامة هونلي البياتي الشهير . "كثرة التفكير في الاجهار ضارة فاملاً عقلك من الموضوع حتى تلهم منه وارغب في تليغوه الى السامعين وحينئذ لا تحتاج الى التنكر في امر الاجهار لان الاجهار وقصد يتم طبعاً" . وهذه النصيحة حسنة لكنها ليست بكافية لانه بعد اتمام هذه الشروط يحتاج الواعظ الى ان يعرف كيف يبلغ الحق الى السامعين على احسن طريق ومن وسائل ذلك الاجهار الحسن . فيجب ان نتكلم في الاجهار لعرف كيف نتجنب الاكثار منه . لان الاجهار الكثير يصير الوعظ ضجة متصلة تنعب الواعظ والموعوظ معاً لان العنف في النطق ليس قوة

البند الرابعة . في الحركة والاشارة

الاشارة امر طبيعي في الانسان حين يتكلم يدلل ان الولد الصغير يتحرك ويشير في التكلم فمن اراد ان يرى الحركة الطبيعية في التكلم فليلاحظ حركات الاولاد لانها فيهم خلق بلا تكلف ومناسبة ومؤنثة . والحركات والاشارات تزيد قوة الكلام بالاجماع . والخلاف في انه هل يليق تكثيرها او تقليها في التكلم والسامعون يختلفون ذوقاً في هذا الامر . فبعض الخطباء نظير مؤلف الموعظة في غضب الله على الخنظة يتفنون بلا حركة وبسبون الازدهان بقية افكارهم . غير انه اذا وعظ امام جمع اعتادوا كثرة حركات الواعظ واشاراته حسياً عدم حركته فتوراً لا يجتمل لاعتيادهم مشاهدة تلك الحركات الكثيرة ورغبتهم فيها . حكى ان في قرية اسمها باج في جرمانيا متبراً من خشب

البلوط كسرة لوز في انوعظ بالضرب عليه يجمع يدو . وقيل ان يشرا الاميركي كسرقند يلين على
 المنبر لشفة حركته . فالحركة لا بد منها في الوعظ لانه ليس في الالف واحد بقدر ان يستغني بقوة
 افكاره عن اظهار المراد بالحركة الجسدية ومن حجة اهل الشرق ان يشيروا ويحركوا كثيراً في
 الكلام في محاضراتهم المعتادة ومحاضراتهم ذات الشأن
 والقانون البسيط في هذا الامر هو ان تكون الحركات والاشارات بلا تصع ولا تكلف بحركة
 الاولاد واثاراتهم كانت من طبع المتكلم وليس من مراعاة قوانين علمية بشرط انها لا تتجاوز حدود
 الاعتدال . ومن كان يميل كل الميل الى الاكثار منها فليجتهد في ان يجعلها متوسطة موافقة للفكر
 والمعنى . ومن كان يميل الى تركها فليعود نفسه ايهاا بدون تكلف لانها ان لم تكن طبعية فضل
 عدمها على وجودها

النشادر في الخبز

ان اهل هذا العصر قد وسعوا العلوم وكثروا الننون حتى كاد العلم يستغرق كل حاجة من
 حاجات الانسان عقلية كانت او جسدية . ولقد اصح العلماء يساقون كل انسان على حرفته ولا
 ريب انهم يستقون في كل ما يوجدون النظر اليه فانهم هم السابقون وغيرهم اللاحقون . هذا وقد
 وجه كبيرون من علماء هذه الايام عنايتهم الى تطهير مآكل البشر وتعيين النافع لهر منها والمضر
 تجاهوا بنوا تد لا تحصى . ومن جملة ما كنفوا حديثا استعمال النشادر للتخبير . فلا يخفى ان كبريات
 النشادر جسم طيار اذا وضع قليل منه في ملعقة ووضعته المعلقة على اللهب تحول حالاً الى غاز
 وطار الى الجوّ ولم تبق بعدة بقية من النشادر . ولذلك يفضل على ما سواة من الاجسام التي
 تستعمل للتخبير . فان قليلاً من النشادر يجعل الخبز اخف وارخف واطيب طعماً وانفع للصحة لانه
 متى وضع العجين المخمر به في الفرن فالنشادر الذي يكون قد تحول الى غاز يفلت كله من العجين
 بعد ان يرتفع وينشر في العجين كله فيخرج الخبز خفيفاً رخياً لذيذاً اللذوق جميلاً للنظر . ولما علم
 خباز والافرنج بهذا الاكتشاف بادروا الى استعمال النشادر للتخبير العجين وذلك بعد تركيبه مع
 خمير آخر كالصودا وزبدة الطرطير وغيرها

كان اليونان يعرفون استخراج الحديد والرثيق وغيرها من المعادن واستخراج الالوان من
 الاتربة قبل المسيح بست مئة سنة